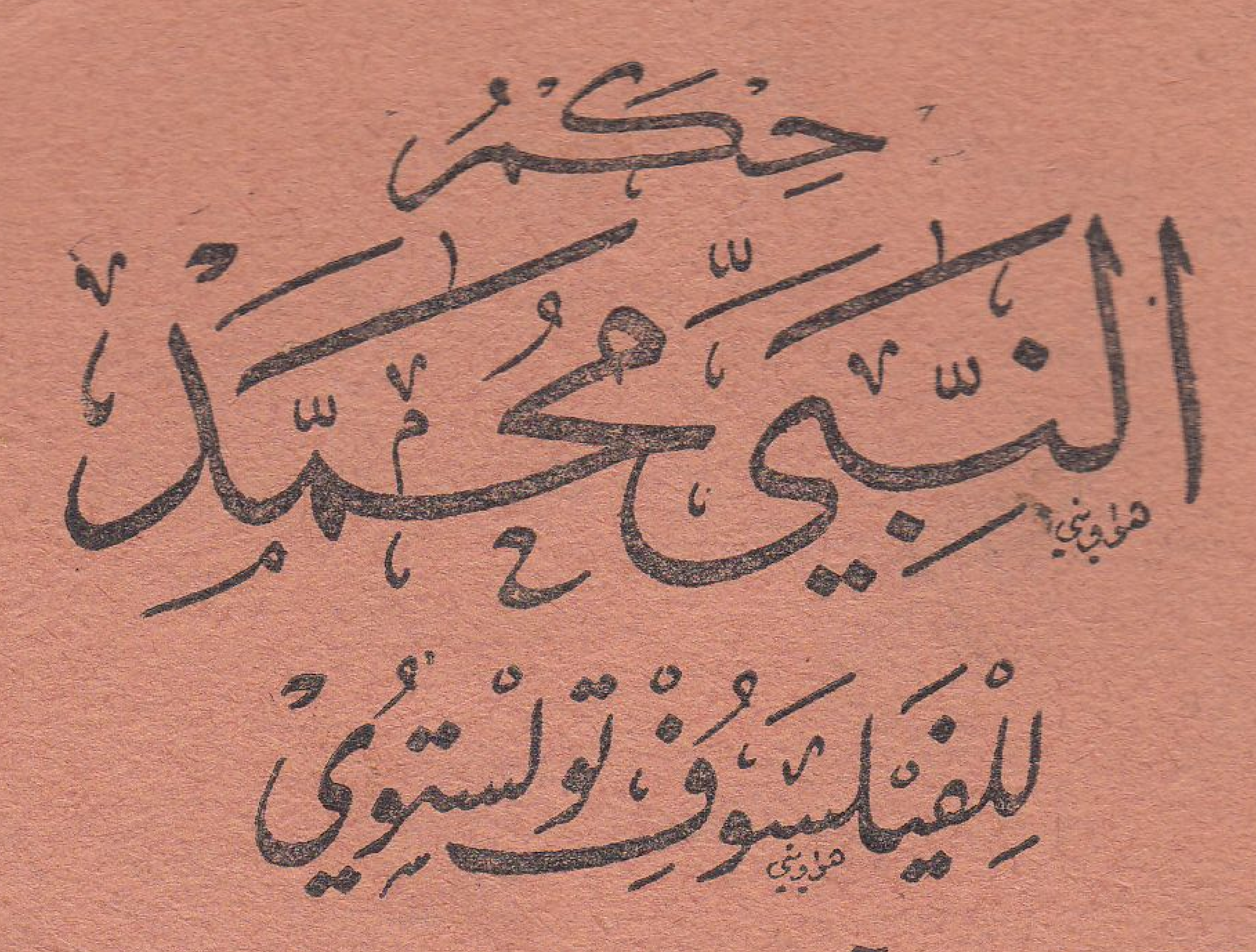


وطائفة مختارة من آراء وتعاليم الفيلسوف الروسى الشهير
نقله من اللغة الروسية الى اللغة العربية

سليم قبعين

وكتاب الأستاذ الشيخ محمد عبده
الى الفيلسوف تولستوى وقصيدتا
أحمد شوقى بك ، وحافظ بك ابراهيم
فى رثائه ومقالات عن الاسلام
والمسلمين والشريعة الاسلامية فى
المحاكم الروسية قديما وحديثا الخ . .

الطبعة الخامسة —



وطائفة مختارة من آراء وتعاليم الفيلسوف الروسى الشهير

نقله من اللغة الروسية الى اللغة العربية

سليم قبعين

وكتاب الأستاذ الشيخ محمد عبده
الى الفيلسوف تولستوى وقصيدتا
أحمد شوقى بك، وحافظ بك ابراهيم
فى رثائه ومقالات عن الاسلام
والمسلمين والشريعة الاسلامية فى
المحاكم الروسية قديما وحديثا الخ . .

الطبعة الخامسة —



الفيلسوف ليون تولستوى

مقدمة

الطبعة الخامسة

كلمة للمعرب

منذ خمس وعشرين سنة وقع فى يدى كتيّب باللغة الروسية عنوانه « حكم النبى محمد » للفيلسوف الروسى الشهير تولستوى فعربته عن اللغة الروسية التى أجيدها ، وطبعته أربع مرات فصادف رواجا منقطع النظير .

وردتنى اذ ذاك رسائل عديدة من جميع الاقطار الاسلامية يشكرنى أصحابها على هذه الخدمة الجليلة التى قدمتها للعالم الاسلامى . وقد وردتنى الآن رسائل عديدة يطلب بها مرسلوها اعادة طبع رسالة الفيلسوف تولستوى ، فلبيت النداء .

ان الفيلسوف تولستوى كاتب منصف جرىء فقد رأى تحامل جمعيات المبشرين فى مدينة قازان الروسية على الدين الاسلامى ، ونسبتها إلى صاحب الشريعة الاسلامية أموراً تنافى الحقيقة تصور للروسيين تلك الديانة وأعمال صاحب تلك الشريعة بصورة غير صورتها الحقيقية فهزته الغيرة على الحق الى وضع رسالة صغيرة ، اختار فيها عدة أحاديث من أحاديث النبى محمد عليه السلام ذكرها بعد مقدمة جليلة الشأن واضحة البرهان وقال عنها :

هذه تعاليم صاحب الشريعة الاسلامية وهى عبارة عن حكم عالية وعظات سامية تقود الانسان الى سواء السبيل ولا تقل فى

شيء عن تعاليم الديانة المسيحية وقد افتتح رسالته هذه بلمحة موجزة عن حياة وتاريخ النبي محمـــد عليه السلام .

ولا بد لي من التنويه بأني عانيت المشاق في رد الأحاديث الى أصولها العربية التي وردت فيها .

واني أرجو أن تصادف خدمتي هذه القبول الحسن عند عامة المسلمين وهذا ما أتوخاه في هذه الهدية التي أزفها للشرقيين عموما ، وهذا حسبي وكفى ؟

سليم قبعين

من كان محمد؟

للفيلسوف تولستوى

ان محمدا هو مؤسس ورسول الديانة الاسلاميه التى يدين بها فى جميع جهات الكرة الأرضية مائتا مليون نفس .

ولد النبى محمد فى بلاد العرب سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح من أبوين فقيرين وكان فى حداثته راعيا . ومال منذ صباه الى الانفراد فى البرارى والامكنة الخالية ، حيث كان يتأمل بالله وخدمته .

ان العرب المعاصرين له عبدوا أربابا كثيرة وبالغوا فى التقرب اليها واسترضائها فأقاموا لها أنواع التعبد وقدموا لها الضحايا المختلفة ومنها الضحايا البشرية . ومع تقدم محمد فى السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب وان ديانة قومه ديانة كاذبة وان هناك إلهاً واحدا حقيقيا لجميع الشعوب .

وقد ازداد هذا الاعتقاد فى نفس محمد حتى قام فى نفسه أن يدعو أمته ومواطنيه الى الاعتقاد باعتقاده الراسخ فى فؤاده وقد دفعه عامل داخلى الى ان الله اصطفاه لارشاد امته وعهد اليه هدم ديانتهم الكاذبة وانارة ابصارهم بنور الحق فأخذ من ذلك العهد ينادى باسم الواحد الاحد بحسب ما أوحى اليه ومقتضى اعتقاده الراسخ .

وخلاصة هذه الديانة التى نادى بها محمد هى ان الله واحد لا اله الا هو ولذلك لايجوز عبادة ارباب كثيرة وان الله رحيم عادل وان

مصير الانسان النهائي متوقف على الانسان نفسه فاذا سار حسب شريعة الله وأتم أوامره واجتنب نواهيه فانه فى الحياة الاخرى يؤجر أجرا حسنا واذا خالف شريعة الله وسار على هواه فانه يعاقب فى الحياة الاخرى عقابا شديدا وان كل شيء فى هذه الدنيا فان زائل ولا يبقى الا الله ذو الجلال وانه بدون الايمان بالله واتمام وصاياه لا يمكن ان تكون حياة حقيقية وان الله تعالى يأمر بمحبته ومحبة بعضهم بعضا ومحبة الله تكون فى الصلاة ومحبة القريب تقوم فى مشاركته فى السراء والضراء ومساعدته والصفح عن زلاته وان الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضى عليهم ان يبذلوا وسعهم لابعاد كل ما من شأنه اثارة الشهوات النفسانية والابتعاد أيضا عن الملذات الارضية وانه يتحتم عليهم أن لا يخدموا الجسد ويعبدوه بل يجب عليهم أن يخدموا الروح وأن يزهدوا فى الطعام والشراب وانه محرم عليهم استعمال الاشربة الروحية المهيجة ومحتم عليهم العمل والجد وماشابه ذلك

ومحمد لم يقل عن نفسه أنه نبى الله الوحيد بل اعتقد أيضا بنبوءة موسى والمسيح وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتمموا وصايا أنبيائهم .

وفى سنى دعوة محمد الاولى احتمل كثيرا من اضطهاد أصحاب الديانة القديمة شأن كل نبى قبله نادى أمته الى الحق ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه بل ثابر على دعوة أمته .

وقد امتاز المؤمنون كثيرا عن العرب بتواضعهم وزهدهم فى الدنيا وحب العمل والقناعة وبذلوا جهدهم لمساعدة اخوانهم فى الايمان لدى حلول المصائب بهم .

ولم يمض على جماعة المؤمنين زمن طويل حتى أصبح الـ
المحيطون بهم يحترمونهم احتراما عظيما ويعظمون قدرهم وغدا عدد
المؤمنين يتزايد يوما فيوما .

غير أن أصحاب الغيرة من أنصار النبي كانوا ينظرون الى
الوثنيين المحيطين بهم وفسادهم بعين الغضب والاستياء فدفعتهم غيرتهم
على الحق الى حمل النبى على أن يرغم الناس بالقوة على الاسلام ،
والاعتراف بوحدانية الله ومع أن هؤلاء الانصار لم يبيحوا سفك
الدماء للحصول على الاموال أو غيرها من متاع الدنيا ولكنهم اباحوا
الحرب فى سبيل الايمان زاعمين انهم بذلك يرضون الله بادخال الناس
فى دينه القويم بالقوة — أولئك الذين أصروا على البقاء فى الضلال
ولم يقتنعوا بدعوة النبى .

ان نشر الاسلام بطريق القوة لم يرق البوذيين والمسيحيين المشهورين
بالوداعة ولكن مع ذلك فان المسلمين اشتهروا فى صدر الاسلام بالزهد
فى الدنيا الباطلة وطهارة السيرة والاستقامه والنزاهة حتى أدهشوا
المحيطين بهم بما هم عليه من كرم الاخلاق ولين العريكة والود .

ومن فضائل الدين الإسلامى انه اوصى خيرا بالمسيحيين واليهود
ولاسيما قسوس الاولين فقد امر بحسن معاملتهم ومؤازرتهم حتى أباح هذا
الدين لاتباعه بالتزوج من المسيحيات واليهوديات مع الترخيص لهن بالبقاء
على دينهن ولا يخفى على اصحاب البصائر النيرة ما فى هذا من التساهل العظيم

ومما لاريب فيه ان النبى محمدا من عظام الرجال المصلحين الذين
خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا انه هدى أمة برمتها
الى نور الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد ومنعها

عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقى والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والاكرام » . انتهى

الاحاديث النبوية

(١) اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك

(٢) قل الحق وان كان مرا .

(٣) أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً . فقال رجل يارسول الله أنصره مظلوماً . فكيف أنصره ظالماً ؟ فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه

(٤) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد . ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر . ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا . ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ومن لقينى بتراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة

(٥) اللهم احينى مسكينا وتوفنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين

(٦) لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

(٧) حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات

(٨) الحلال بين والحرام بين

(٩) ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء

(١٠) سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم أى الاسلام خير قال: أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف

(١١) لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب
(١٢) كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف فخلقت الخلق فعرفونى
(١٣) أفضل الصدق اصلاح ذات البين وحفظ اللسان
(١٤) أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهى زانية . وكل عين زانية
(١٥) الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء . واملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من املاء الشر
(١٦) زنا العين النظر . وزنا النفس المنطق والنفس تتمنى وتشتهى
(١٧) من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا
(١٨) القبر أول منزلة من منازل الآخرة
(١٩) أفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل
(٢٠) ان الرجل اذا دخل فى صلاته أقبل الله عليه بوجهه
(٢١) ان الله تعالى يحب أن يرى عبده ساعيا فى طلب الحلال
(٢٢) من يصبر على الرزية يعوضه الله
(٢٣) آفة الدين ثلاثة : فقيه فاجر . وامام جائر ، ومجتهد جاهل
(٢٤) انما النساء شقائق الرجال
(٢٥) آفة العلم النسيان واضاعته ان تحدث به غير أهله
(٢٦) الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة
(٢٧) الكذب مجانب للايمان
(٢٨) اعقلها وتوكل
(٢٩) لا عبادة كالتفكر
(٣٠) حبك للشيء يعمى ويصم

(٣١) لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
(٣٢) أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

(٣٣) الا ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله ، قال اصلاح ذات البين لله

(٣٤) ان أول خلق خلقه الله عز وجل العقل . فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر . فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب الى منك ، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب

(٣٥) ليس الشديد بالصرعة انما الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب

(٣٦) ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس

(٣٧) اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال فلينظر الى من هو أسفل منه

(٣٨) دخل عمر على رسول الله وهو على حصير قد أثر فى جنبه فقال يا نبي الله لو اتخذت فراشا فقال مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها

(٣٩) خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا . من نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله الله عليه

(٤٠) جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى أحبك قال انظر ما تقول . فقال انى والله لأحبك ثلاث مرات . قال ان كنت صادقاً

فاعد مخفافا للفقر أسرع الى من يحبى من السيل الى منتهاه

(٤١) ليردك عن الناس ما تعلم من نفسك

(٤٢) امش ميلا عد مريضا وامش ميلين اصلح بين اثنين وامط الأذى عن الطريق فانه لك صدقة

(٤٣) اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى وان تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ، إياك وإسبال الازار فان إسبال الازار من المخيلة ولا يحبها الله وإن أمرءاً شتمك وعيرك بأمر هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه واجره لك ولا تسبن أحدا

(٤٤) قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقى . اذا وجدت صبيا فى السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال النبى أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا : لا ، وهى على أن لا تطرحه : فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها

(٤٥) من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة

(٤٦) قال النبى وحوله عصابة من أتباعه: تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصونى فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله

(٤٧) سيأتى زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من الدين إلا رسمه تنزع الرحمة من قلوبهم وتقل مكاسب الحلال ويكثر الحرام

(٤٨) عفوا تعف نساؤكم

(٤٩) علم لا ينفع كـكنز لا ينفق منه

(٥٠) ليس من أخلاق المؤمن التملق ولا الحسد الا فى طلب العلم

(٥١) زين الله السماء بثلاث: الشمس والقمر والكواكب وزين الأرض بثلاث ، بالعلماء والمطر وسلطان عادل

(٥٢) العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء

(٥٣) العالم اذا خرج من الدنيا كالمصباح يخرج من بيت مظلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب

(٥٤) يقول الله عز وجل يوم القيامة ياابن آدم ، مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لوجدتنى عنده . ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، ياابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، قال يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى

(٥٥) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

(٥٦) من كذب فجر ، ومن فجر كفر ، ومن كفر دخل النار

تمت الأحاديث المختارة

الحجاب والزواج

رأى تولستوى فيهما

ان السبب فى مسألة الطلاق التى تشغل الآن الرأى العام فى أوربا هو التمدن الذى لم يقتبس الانسان منه سوى الحمق والخلاعة هذا هو السبب الحقيقى فى ازدياد الطلاق نموا كل يوم فلا يمضى على زواج امرأة برجل ردح من الزمن حتى تقول له حاذر أن أتركك وامضى الى حال سبيلى سرى ذلك من الربوع العالية فى المدن الى أكواخ الفلاحين ، فالفلاحة تقول لزوجها خذ قمصانك وسراويلك لانى تاركتك وذاهبة مع حبيبى يوسف الذى يفوقك حسنا وبهاء .

هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الزواج وخرجت من دائرة الخضوع له ، تلك الواجبات التى ينبغى أن تبقى عليها حتى انقضاء الاجل .

على الرجل أن يكد ويشتغل وما على المرأة الا أن تقيم فى البيت لانها زوجة او بعبارة اخرى لانها اناء لطيف سريع الانثلام والانكسار

على الرجل ان يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان بل يحجز بها فى البيت والبيت دائرة حرية واسعة للمرأة .

ثم ختم هذه السطور بمثل روسى وهو :

« لا تركن الى الفرس فى الغيط واركن للمرأة فى البيت »

الحب والزواج

وقال :

ان دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات . انه قد يكون حب ولكن الى وقت قصير جدا ، ثم لا يدوم الا فى الروايات فقط. واما بين الناس فعديم الاستقرار فى قلبين معا وكل رجل متزوجا كان او غير متزوج اذا اجتازت به غادة فتانة فأكثر ما يكون منه ان يوجه اليها التفاتة . وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغال بعد ذلك فى سبيل الوصول اليها. والمرأة من هذا القبيل كالرجل فانها تجتهد للاتصال بأكثر من واحد دائما وما دام يمكنها هذا الاتصال فهى نائلة أربها لا محالة

اذا قلنا انه يمكن للمرأة ان تحب زوجها طول الحياة ، فما مثلنا فى ذلك الا مثل من يوقد شمعة وهو يعتقد انها تدوم مضيئة طول الدهر .

ان الزواج اصبح فى عصرنا هذا بيننا محض خداع وغش ولكنه لا يزال يوجد عند اولئك الذين يرون فيه سرا من اسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود . اما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية .

الزوجان يخدعان الناس بأنهما يعيشان معا فى ارتباط عائلى حقيقى بالزواج . يظهر كذلك امرهما فى الخارج لكل من رآهما وانهما سيبقيان فى وئام ووفاق مادامت الحياة . والحقيقة انهما يعيشان

على قاعدة تعدد الزوجات ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ قد يتفقان زمنا . وعلى الاكثر ان كليهما فى الشهر الثانى يهدد صاحبه بالطلاق . وقبلما يتمكنان من وسائله . وعن ذلك تصدر الافكار الخبيثة الجهنمية التى ينجم عنها اطلاق الرصاص انتحارا أو قتلا أو دس السم وما أشبه .

الفساد وانتشاره

وقال :

وتفسد أخلاق الشاب فى المدرسة لأن جميع رفاقه فسدة الاخلاق يصحبونه معهم الى اندية الرجس فيفقد طهارته وعفته من حيث لا يدرى ان فى هذا ما يخالف الآداب والفضيلة . تفسد اخلاق الشاب من أول نشأته لأنه لا يسمع من مرشديه ان الفسوق محرم بل بالعكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم بعض الشيء وجميع المحيطين به يقولون ان الوقوع شيء طبيعى قانونى مفيد للصحة وفكاهة الشباب الحلوة . لهذا كله لا يدرك الشاب انه سائر فى طريق الضلال بل يقطع الطريق الطبيعية التى يسير فيها كل صحبه وأفراد الوسط الذى يعيش فيه . فيبدأ بالفحشاء كما يبتدىء بشرب المسكر والتدخين .

وأنا أعرف أمهات كثيرات يعتنين بأمر أولادهن فى هذا الطريق رعاية لصحتهم

بقى على الشاب أمر واحد يخشى عاقبته من ارتكاب الموبقات وهو

العدوى من المرض المشهور، غير ان الحكومة التى تهتم بصحة رعاياها لم تدع مجالا للخوف فانها بهمة فائقة تعتنى اعتناء تاما بالمواخير. والأطباء كهنة أصنام العلم يراقبون المومسات لقاء أجور يتقاضونها وهم من جهة أخرى يفتون للشبان بضرورة الاجتماع ولو مرة فى الشهر، مراعاة لقانون الصحة فهم على ذلك يرتبون سير الفحش ترتيبا مدققا ويضبطون دوائره ضبطا « محكما »

ليت الحكومة التى تهتم اهتماما عظيما بازالة الزهرى معالجة تستعمل جزءاً من مائة من ذلك الاهتمام فى إزالة المومسات ، فيصبح المرض إذ ذاك فى خبر كان

حفلات الرقص (البالو)

وقال :

يجرى بيننا وتحت نظرنا من الأمور السافلة ما لا طاقة لذى ناموس وشرف على احتماله، يزورنا رجل لا نجهل من سيرته شيئا فنستقبله أحسن استقبال وعند ما يدخل قاعة الضيوف يجالس أختى او ابنتى أو قرينتى حيث يتركنى وشأنى أو اتركه وشأنه. وربما أعرف من سلوكه وتصرفاته ما أعرف ، فكان يلزم والحالة هذه ان أتقدم اليه عند قدومه وانتحى به جانبا واقول له همسا انى ياصاح اعرف احوالك ، وأين تصرف لياليك ومع من فليس لك عندنا مكان لان فتياتنا طاهرات .

هكذا كان ينبغي أن يفعل كل واحد منا ولكننا نجرى على

العكس مما تقدم فاذا اجتمعنا مع هذا الرجل فى ليلة راقصة كان له ان يرقص مع اختى او ابنتى ويعانقها ويخاصرها ، نراه بأعيننا ونشاهد حركاتهما معا غدواً ورواحاً وميلا واهتزازا ولا تشمئز منه نفوسنا بل نتساءل إذا كان حرا لنسعى فى تزويجه باحدى بناتنا ولو كان اثر المرض باديا عليه .

الازياء ونساء الطبقات العليا

وقال :

إننا لو أمعنا النظر فى معيشة نساء الطبقات العليا كما هى من قلة الحياء والخلاعة لا نجد ثم فرقا بين البيت الذى يضمهن ، ونادى مومسات مختلط

ولكن الناس لا يوافقونى على كلامى هذا فأنا اذاً اقيم لهم برهانا حسيا . هم يقولون ان نساء هيئتنا الاجتماعية يعشن بحالة تخالف معيشة المومسات وانا أخالفهم فى ذلك وأقول : اذا كانت النساء تختلف فى حالة المعيشة الداخلية . فمن الحقائق المقررة ان ما يكون خارجا منهن عن اثر المعيشة فى الداخل وهذه يلزم ان تخالف معيشة المومسات من كل وجه ولكن انا لا أرى فرقا كبيرا بين معيشة الفريقين فى الخارج . قابلوا أيها الناس بين المومسات وبين نساء الطبقات العليا ، تجدوهن متفقات فى الهيئات والازياء والروائح العطرية ، واعراء السواعد والمناكب والصدور ووضع الوسادة خلف الظهر اينما جلسن واينما ركبن وفى اقتناء انفس الجواهر والحجارة الكريمة اللامعة وفى المراقص والغناء ،

وكما أن المومسات يستعملن كل الوسائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهن كل راءٍ ، كذلك نساء الطبقات العالية يفعلن فى وسطهن اهـ

الاستاذ الامام وتولستوى

كتب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى الفيلسوف تولستوى واضع هذا الكتاب الخطاب الآتى فآثرت اثباته لجزيل فائدته وهو

أيها الحكيم الجليل موسيو تولستوى !

لم نحظ بمعرفة شخصك . ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من أفكارك ، وأشرقت فى آفاقنا شموس من ارائك الفت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله الى معرفة سر الفطرة التى فطر الناس عليها ووفقك على الغاية التى هدى البشر اليها ، فأدركت أن الانسان جاء الى هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذى نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التى لم يمنحوها الا ليسعدوا بها . فيما كدر راحتهم ، وزعزع طمأنينتهم .

ونظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه فكما كنت بقولك

هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى بها الضالون كان مثالك فى العمل إما ما يقتدى به المسترشدون وكما كان وجودك توبيخا من الله للاغنياء كان مددا من عنايتـــه للضعفاء الفقراء وان أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء نلته على متاعبك فى النصح والارشاد هو هذا الذى سماه الغافلون بالحرمان والابعاد فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين ، فأحمد الله على أن فارقوك فى أقوالهم كما كنت فارقتهم فى عقائدهم وأعمالهم .

هذا وان نفوسنا لشيقة الى ما يتجدد من اثار قلمك فيما تستقبل من أيام عمرك وانا نسأل الله أن يمد فى حياتك ويحفظ عليك قوالك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ويسوق النفوس الى التأسى بك فى عملك والسلام .

مرثية — احمد شوقى بك

(طولستوى) تجرى اية الحلم دمعها عليك ويبكى بائس وفقير
وشعب ضعيف الركن زال نصيره وما كل يوم للضعيف نصير
ويندب فلاحون أنت منارهم وأنت سراج غيبوه منير
يعانون فى الاكواخ ظلما وظلمة ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى عليهم وتغشى دورهم وتزور
ويأسى عليك الدين اذ لك لبه وللخادميه الناقمين قشور
أيسكفر بالانجيل من تلك كتبه أناجيل منها منذر وبشير

ويبكيك الف فوق (ليلى) ندامة غداة مشى (بالعامرىّ) سرير
تناول ناعيك البلاد كأنه يراع له فى راحتيك صرير
وقيل تولى (الشيخ) فى الارض هائما وقيل (بدير) الراهبات أسير
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه وللطب من بطش القضاء عذير
اذا أنت جاورت (المعرى) فى الثرى وجاور (رضوى) فى التراب (ثبير)
وأقبل جمع الخالدين عليكما وغالى بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الارض عطرها شذى جناهن مسك فوقها وعبير
بهن يباهى بطن (حواء) واحتوى عليهن بطن الارض وهو فخور
فقم ياحكيم الدهر حدث عن البلى فأنت عليم بالامور خبير
أحطت من الموتى قديما وحادثا بما لم يحصل منكر ونكير
طوانا الذى يطوى السموات فى غد وينشر بعد الطى وهو قدير
تقادم عهدانا على الموت واستوى طويل زمان فى البلى وقصير
كأن لم تضق بالامس عنى كنيسة ولم يؤونى دير هناك طهور
أرى راحة بين الجنادل والحصى وكل فراش قد أراح وثير
نظرنا بنور الموت كل حقيقة وكنا كلانا فى الحياة ضرير
اليك اعترافى لا لقس وكاهن ونجواى بعد الله وهو غفور
فزهدك لم ينكره فى الارض عارف ولا متعال فى السماء كبير
بيان يشم الوحى من نفحاته وعلم كعلم الانبياء غزير
سلكت سبيل المترفين ولذ لى بنون ومال والحياة غرور
أداة شتائى الدفء فى ظل شاهق وعدة صيفى جنة وغدير
ومتعت بالداء ثمانين حجة ونضر أيامى غنى وحبور
وذكر كضوء الشمس فى كل بلدة ولاحظ مثل الشمس حين تسير

فما راعنى إلا عذارى أجرننى ورب ضعيف تحتمى فيجير
اردت جوار الله والعمر منقض وجاورته فى العمر وهو نضير
وصباً نعيم بين أهل وموطن ولذات دنيا كل ذاك نذور
بهن وما يدرين ما الذنب خشية ومن عجب تخشى الخطيئة حور
أوانس فى داج من الليل موحش ولله أنس فى القلوب ونور
واشبه طهر فى النساء بمريم فتاة على نهج المسيح تسير
تسائلنى هل غير الناس ما بهم وهل حدثت غير الامور امور
وهل آثر الاحسان والرفق عالم دواعى الاذى والشر فيه كثير
وهل سلكوا سبل المحبة بينهم كما يتصافى أسرة وعشير
وهل آن من أهل الكتاب تسامح خليق بآداب الكتاب جدير
وهل عالج الاعياء بؤسا وشقوة وقل ، فساد بينهم وشرور
قم انظر وانت المالىء الارض حكمة أأجدى نظيم أم أفاد نثير
اناس كما تدرى ودنيا بحالها ودهر رخى تارة وعسير
واحوال خلق غابر متجدد تشابه فيها أول وأخير
تمر تباعا فى الحياة كأنها ملاعب لا ترخى لهن ستور
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى وغش وأفك فى الحياة وزور
وقام مقام الفرد فى كل أمة على الحكم جم يستبد غفير
وحور قول الناس مولى وعبده الى قولهم مستأجر وأجير
وأضحى نفوذ المال لا أمر فى الورى ولا نهى الا ما يرى ويشير
تساس حكومات به وممالك ويذعن اقيال له وصدور
وعصر بنوه فى السلاح وحرصه على السلم يجرى ذكرها ويدير
ومن عجب فى ظلها وهو وارف يصادف شعبا آمنا ويضير

ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ويؤوى جيوشا كالحصى ويمير
ولما استقل البر والبحر مذهبا تعلق أسباب السماء يطير

مرثية حافظ بك ابراهيم

رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبير
ولست ابالى حين ارثيك بعده اذا قيل عنى قد رثاه صغير
فقد كنت عونا للضعيف واننى ضعيف ومالى فى الحياة نصير
ولست ابالى حين ابكيك للورى حوتك جنان أو حواك سعير
فانى احب النابغين لعلمهم وأعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت الى عيسى فضجت كنائس وهز لها عرش وماد سرير
وقال اناس انه قول ملحد وقال اناس انه لبشير
ولولا حطام رد عنك كيادهم لضقت ذرعا وساء مصير
ولكن حماك العلم والرأى والحجى ومال اذا جد النزال وفير
اذا زرت رهن المحبسين بحفرة بها الزهد ثاو والذكاء مثير
وابصرت انس الزهد فى وحشة البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وايقنت ان الدين لله وحده وأن قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم واحتشم ان شيخنا مهيب على رغم الفناء وقور
وسائله عما غاب عنك فانه عليم بأسرار الحياة بصير
يخبرك الاعمى(١) وان كنت مبصرا بما لم تخبر أحرف وسطور

---

(١) يريد أبا العلاء المعرى

كأنى بسمع الغيب أسمع كلما يجيب به أستاذنا ويجير
يناديك اهلا بالذى عاش عيشنا ومات ولم يدرج اليه غرور
قضيت حياة ملؤها البر والتقى فأنت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفا وأمسكوا وما أنت الا محسن ومجير
وما أنت الا زاهد صاح صيحة يرن صداها ساعة ويطير
سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا اليها بما تعطيهم وتمير
حياة الورى حرب وانت تريدها سلاما وأسباب الكفاح كثير
ابت سنة العمران الا تناحرا وكدحا ولو ان البقاء يسير
تحاول رفع الشر والشر واقع وتطلب محض الخير وهو عسير
ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم دليل على ان الاله قدير
ولم يبعث الله النبيين للهدى ولم يتطلع للسرير أمير
ولم يعشق العلياء حر ولم يسد كريم ولم يرج الثراء فقير
ولو كان فينا الخير محضا لما ادعى الى الله داع ان تبلج نور
ولا قيل هذا فيلسوف موفق ولا قيل هذا عالم وخبير
فكم فى طريق الشر خير ونعمة وكم فى طريق الطيبات شرور
ألم تر انى قمت قبلك داعيا الى الزهد لا يأوى الى ظهير
أطاعوا أبيكير وسقراط قبله وخولفت فيما أرتئى وأشير
ومت وما ماتت مطامع طالع عليها ولا القى القياد ضمير
اذا هدمت للظلم دور تشيدت له فوق أكتاف الكواكب دور
افاض كلاما فى النصيحة جاهدا ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل وكم قيل عن شيخ المعرة زور
وما صد عن فعل الاذى قول مرسل ولا راع مفتون الحياة نذير

النبي محمد

جاء فى احدى المجلات الروسية تحت هـذا العنوان ما يأتى بالحرف الواحد :

فى شبه جزيرة العرب المجاورة لفلسطين ، حيث كان النـاس يدينون بالديانتين المسيحية واليهودية ، ظهرت ديانة عظيمة أساسها الاعتراف بوحدة الله وهذه الديانة تعرف بالمحمدية أو كما يسميها أتباعها الاسلام وقد انتشرت هذه الديانة انتشارا سريعا بين قبائل متعددة وأمم كثيرة حتى بلغ عدد منتحليها فى هذا العصر نحو مائتى مليون نفس .

مضى على ظهور الديانة الاسلامية ١٣٣٠ عاما أو بعد ظهور الديانة المسيحية بنحو ٦٠٠ سنة ، ومؤسس هذا الدين هو العربى محمد

كان العرب أقرباء اليهود باللغة والجنس قبل ظهور الرسول وثنيين يعبدون الهـة متعددة وأرواحا صالحـة وشريرة وكانت أصنامهم تقسم الى قسمين عائلية ووطنية فكان كثير من العائلات تصنع لهـا صنما خاصا تعبـده وكان فى كل قبيلة صنم عام تسجد له برمتهـا ، ولـكن العرب عموما كانوا يعتقدون بوجود اله يعتبرونه أبا لهـذه الارباب يسمونه « الله العلى العظيم » .

وكانت اعتقادات العرب الدينية مملوءة بالخرافات وديانتهم مبنية على القسوة والانتقام والتعادى .

ولقد انقسمت بلاد العرب الى ثلاث مقاطعات وهى اليمن ذات

التربة الخصيبة ويعمل أهلها بالزراعة وتربية المواشى ثم نجد ويسكنها قوم رحل يتوفرون على تربية الماشية والغزو والنهب ، ثم الحجاز أهلها أرباب تجارة مع مصر وسوريا والجهات الاخرى ، وعاصمة هذه الجهة مكة وهى المدينة المقدسة عند جميع القبائل العربية ولكل قبيلة فيها أصنام خاصة بها وفيها الكعبة المعبد العظيم الذى كان يحفظ فيه الحجر الاسود الذى تقول تقاليد العرب بشأنه أن الله سبحانه وتعالى أنزله على ابراهيم جد العرب لانهم يعتقدون انهم من نسل اسماعيل بن هاجر .

وكان العرب يزورون مكة فى كل عام وحتى يأمنوا على نفوسهم من القتل والسلب فى خلال هذه الزيارة عينوا أربعة أشهر فى العام حرموا فى أثنائها سفك الدماء والغزو والسرقة .

ولما وحد النبى محمد قبائل العرب ، وانار أفكارهم وأبصارهم بمعرفة الإله الواحد ، هذب أخلاقهم ولين طباعهم وقلوبهم وأصلح عاداتهم البربرية الهمجية وجعلهم أمة مستعدة للرقى والتقدم .

كان العرب قبل ظهور النبى محمد يقدمون لآلهتهم الذبائح البشرية من أسرى الحرب ومن أولادهم — فيئدون بناتهم — ويقتلون عدوهم وعلى الجملة فقد كانت أخلاقهم مبنية على القساوة والانتقام وسفك الدماء وقد قضى النبى محمد على ذلك جميعه ونادى بعبادة الخالق سبحانه وتعالى وساوى جميع العرب أمام الله وحرم الانتقام ومنع سفك الدماء وهذه الاعمال العظيمة التى قام بها النبى محمد تدل على أنه من المصلحين العظام وعلى ان فى نفسه قوة فوق قوة البشر .

ولد النبي محمد عام ٥٧١ من أبوين فقيرين وقد توفى والده قبل ولادته بشهرين وتوفيت والدته فى العام السادس من عمره فكفله أولا جده ثم عمه الذى كان يصحبه معه فى سفراته التجارية .

وكان النبي محمد فى حداثته يخدم أعمامه فيرعى ماشيتهم ويقود جمالهم .

ولما بلغ العام العشرين دخل فى خدمة قريبته الارملة خديجة من ذوات الثروة الواسعة بصفة وكيل لها وبعد مرور سنة قضاها فى خدمتها تزوجها مع انها كانت اكبر منه بعشرين عاما وقيل بخمسة عشر كان محمد ذا فكر نير وبصيرة وقادة واشتهر بدماثة الاخلاق ولين العريكة والتواضع وحسن المعاملة للناس واشتهر بميله للابحاث الدينية حتى أنه كان يناقش اليهود والنصارى ومن هذه المناقشات عرف أشياء عن موسى والمسيح وعرف بعض الشيء من تعاليم التوراة والانجيل وعرف انه يوجد اله عظيم لم تصنعه الايدى البشرية (١)

مضت على محمد أربعون سنة قضاها بسلام وطمأنينة وكان جميع أقاربه يحبونه محبة شديدة واهل مدينته يحترمونه احتراما عظيما لما هو عليه من المبادىء القويمة والاخلاق الكريمة وشرف النفس والنزاهة وكانت ثروة زوجته تكفيه مؤونة الكدح للمعاش فعاش

---

١) ان الذى نعرفه من كتب الاسلام والسير النبوية لايثبت هذه الرواية (المعرب)

عيشة رخاء وهناء ولكن من جهة أخرى كانت فى نفسه عواطف دينية قوية تدفعه الى القيام بعمل عظيم الا وهو اخراج أمته ومواطنيه من دياجير الجهل وظلمات الخرافات الدينية .

وصل الاعتقاد الدينى بمحمد الى الاعتراف بأن موسى وعيسى من أنبياء الله ولكنه لم ترقه بعض عقائد الديانتين المسيحية واليهودية

ولطالما انقطع محمد فى حداثته الى الجبال المجاورة لمكة حيث يقيم شهرا متعبدا وكان شعوره الدينى يزداد عاما فعاما أيقن فى النهاية أن أرباب أمته لا شعور لها ولا قوة وان الاله الحقيقى واحد وهو الله منشىء الكائنات ومدبرها بقوته غير المحدودة فنى سنة من سنوات اعتزاله تواترت عليه ذات يوم الافكار الدينية وبعد ذلك اضطربت لها نفسه اضطرابا شديدا فدخل مغارة ونام فيها وفى خلال نومه رأى رؤيا دعاه فى خلالها هاتف ليكون نبيا يدعو أمته لمعرفة الاله الواحد .

ولما استيقظ من نومه عاد الى منزله مضطربا وبعد عدة أسابيع رأى رؤيا أخرى دعاه فيها صوت ذلك الهاتف ليكون نبيا لأمته فعزم بعد هذه الرؤيا بدون تردد على دعوة أمته الى معرفة الحق وصمم العزم على تطهير البلاد من الاصنام .

وقد صدقت عائلة النبى محمد برسالته وكذلك علىّ وزيد وانضم اليه عمه أبو بكر الذى غدا من أكبر أنصاره وأكد أكثر مؤرخى

العرب ان أبا بكر أول من أسلم من الرجال وان خديجة أول من أسلمت من النساء

وقد أراد النبي محمد فى بدء رسالته أن يسير على عادات قبيلتـه فدعا كبار عشيرته وأعلنهم برسالته ، فلما سمعوا منه مقالته استكبروا منه ذلك وأخذ الغضب منهم مأخذا عظيما لانهم انتظروا أن يسمعوا منه كلاما عن تجارة أوغزوة وقال له أبولهب احد أعمامه بلهجة الغضب ألهذا دعوتنا فاختنق واصمت ثم تفرقوا صاخبين هازئين

ثم أخذ النبي محمد يجاهر برسالته فعـاب دين قبيلته وسفه أحلامها وسب آلهتها فأساء بذلك الى اشراف القبيلة ورأوا فى رسالته خطرا على البلاد وأهلها ولـكن لم يجسر أحد منهم ان يقاومه خيفـة من وقوع النزاع والشقاق ، وفى سنى رسالته الأولى لم يصدق بنبوته الا ٤٣ شخصا أكثرهم من الفقراء والعبيد الذين سامهم مواليهم صنوف الاضطهاد والهوان ، فأخذ إذ ذاك ابو بكر أعظم أنصار النبي محمد يفتدى أولئك العبيد باموالہ واشترى مرارا بماله المعذبين من الاسلام لانقاذهم من الآلام

وفى خلال ذلك طلب القريشيون من أبى طالب عم النبى محمد لـكى يرجع ابن أخيه عن كلامه وحاله ، فنصح له ابو طالب ولـكن النبى أجابه بقوله « لو أعطونى الشمس بيمينى والقمر بشمالى لـكى أترك هذا العمل قبل ان ينصره الله أو أهلك أنا فى سبيله فلن أتركه » ولما قال هذا أراد الخروج فمسك به ابو طالب وقال له :

جاهر بأمر رسالتك وعلم بما تريد فلست بمسلمك لهم يا ابن أخى ولن أتركك أبدا

وفى عام ٦١٧ توفيت خديجة وبعد وفاتها بعدة أسابيع توفى ابو طالب أيضا ولذلك انقطعت علاقات النبى محمد القلبية مع مكة فغادرها الى المدينة ولم يمض على اقامته فيها زمن طويل حتى آمن برسالته كثيرون الفوا جماعة اطلق عليها جماعة المؤمنين اشتهروا بالتقوى والصلاح وحسب تعاليم الإسلام كانوا جميعهم متساوين فى كل شىء ولم يكن بينهم اثر للسيادة والانقسام الى طبقات متفاوتة فى الحسب والنسب كما كان الحال عليه عند القبائل العربية وقد ضربت السكينة بين جماعة المؤمنين اطنابها ورفعت المساواة قبابها فتناسوا ما كان بينهم من الحزازات والضغائن وأصبحوا يعيشون كنفس واحدة وكان الواجب يقضى عليهم أن يدفعوا عن بعضهم بعضاً ويردوا هجمات الغير المؤمنين

وقد جرت عدة وقائع حربية بين أنصار النبى وأهالى مكة انتهت بانتصار الأنصار الذين دخلوا مكة ظافرين وقد طاف النبى وهو على ناقته حول الكعبة سبع مرات ومس الحجر المقدس بعصاه ثم أمر بتحطيم جميع الاصنام التى كانت منصوبة حول الكعبة وأعلن ان جميع الناس متساوون امام الله عز وجل ثم أمر المكيين ان يحطموا الأصنام الموجودة فى منازلهم وقد لبى الجميع هذا النداء لوثوقهم بضعف آلهتهم.

وفى آخر رحلة رحلها النبى الى مكة جمع حولها الحجاج وذكرهم

بجميع وصايا الاسلام ونصح لهم بان يعيشوا مع بعضهم عيشة سلام وأمان وان يكونوا اخوانا وان يتناسوا الاحقاد القديمة ويكفوا عن سفك الدماء والاخذ بالثأر وأوصاهم خيراً بزوجاتهم وعبيدهم وفى الختام قال انى قد قمت بما عهد الىّ

وبعد عدة شهور مضت على مغادرته مكة انتقل من دار الفناء الى دار البقاء وكانت وفاته فى اليوم الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٨ فى العام الثالث والستين من سنى حياته وقبل وفاته اعتق جميع عبيده

* * *

ان محمدا نبي الاسلام الذى يدين به الآن أكثر من مائتى مليون نفس قد قام بعمل عظيم جداً فانه هدى الوثنيين الذين قضوا حياتهم بالحروب الاهلية وسفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية الى معرفة الاله الواحد وأنار ابصارهم بنور الايمان ، واعلن ان جميع الناس متساوون امام الله سبحانه وتعالى والحق الذى لامراء فيه أن النبي محمداً قام بعمل عظيم وانقلاب كبير فى العالم ومن اراد أن يتحقق ماهو عليه الدين الاسلامى من التساهل عليه أن يطالع القرآن الكريم بامعان واذ ذاك يصدر حكما مبنيا على الحقائق الباهرة المتضمنة ذلك التعليم وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل على روح الدين الاسلامى السامية فمنها الآية الكريمة القائلة

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا

حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

(المعرب) هذه أقوال كاتب روسى مسيحى منصف نشرها بين قومه لاطلاعهم على جوهر الدين الاسلامى وما فيه من الحقائق الباهرة وهى حرية بالاعتبار لصدورها من كاتب فاضل يقول الحق ، ولا غرابة فرجال الفضل المنصفون وجدوا فى الدنيا لتقرير الحقائق ودفع التهم وإرشاد الناس الى الحقيقة الناصعة التى لبثوا أعواما طوالا هم فى ريبة منها لما قرأوه عنها من الاختلافات التى بثها فى نفوسهم بعض الكتاب الذين يجرون وراء تيار الاهواء ويخالفون ضمائرهم لأرضاء فريق من الناس وهى خلة ذميمة فى الكتاب الذين هم مصابيح الازمنة والواجب يقضى عليهم بتبديد غياهب الجهل وانارة الافكار بنبراس الحقيقة فاذا سار العلماء والكتاب على خطة هذا الكاتب الروسى افادوا العالم فوائد لا يقدرها إلا كل ذى شعور حى يتألم لتنابذ الناس وتباغضهم

الاسلام والمسلمون

أقوال الكتاب فيهما

فى روسيا جمعيات عديدة دينية أنشئت لتبشير الامم الاسلامية بالدين المسيحى ، مثل قبائل الكبيرجيز والتتر والشركس وغيرها ويبلغ عدد المسلمين فى روسيا وأروبا نحو ستة عشر مليونا ونصف

هذا عدا عن مسلمى القوقاس وأواسط آسيا الخاضعين للحكومة الروسية وحسب آخر احصاء عام أجرى فى روسيا عام ١٩٠٧ بلغ عدد المسلمين ١٠٦ فى الالف من مجموع السكان واذا راجعنا تاريخ المسلمين فى روسيا نجد أنه مرت عليهم أزمان قاسوا فيها صنوف الاضطهاد الدينى وأرغموا مراراً على ترك دينهم واضطر منهم ألوف أن يتنصروا بالاسم ونقلوا أسماءهم من سجلات المسلمين الى سجلات المسيحيين ولكنهم تنصروا اسما وهم لا يعرفون شيئا من الديانة المسيحية سوى تسميتهم بحنا وبطرس ومرقص ومتى ، وفى الوقت نفسه لبثوا محافظين على عقائد الدين الاسلامى والاخلاق الاسلامية ولبثت نساؤهم محافظة على الحجاب ، واذكر أنه منذ ثمانى سنوات تمكن بعض نوابغ المسلمين الروسيين وأعيانهم استصدار أمر قيصرى باعطاء الحرية للمسلمين المتنصرين اسما أن يرتدوا للدين الاسلامى فارتد منهم فى أيام قليلة نحو أربعين ألف ونيف ، وكانت أيام الارتداد هـــذه أيام أعياد واحتفالات شائقة بين المسلمين أقاموا فيها الزينات والولائم ونحروا فيها الجزر وأكثروا من الصدقات على الفقراء والمحتاجين وأقاموا الصلاة فى جميع مساجد روسيا

وأهم مسألة يشتغل فيها النواب المسلمون فى مجلس الدوما هى توسيع الحرية للمسلمين وتخويلهم حق الدفاع عن دينهم كلاما وكتابة والرد على جماعة المبشرين الذين يصدرون فى كل عام مئات من الكتب يكتبون فى مجلاتهم وجرائدهم المطاعن على الدين الاسلامى وكان المسلمون من قبل لا يصح لهم أن يردوا على تلك المطاعن أو

أو يدحضوها بالبراهين الساطعة والأدلة الدامغة بل كانوا مرغمين على سماع تلك المطاعن وهم صامتون ، وقد أحرجت صدورهم وتغلغل الحقد فى قلوبهم لكن بعد الجهد والعناء استطاع النواب المسلمون فى مجلس الدوما بمساعدة بعض النواب المسيحيين المنصفين الذين طهرت قلوبهم من أدران التعصب الذميم وأشربت أفئدتهم بحب الانصاف ونشر الوية المساواة من استصدار قرار من المجلس المذكور صادق عليه جلالة القيصر نقولا الثانى يتضمن الامور الآتية :

أولا : منح المسلمين حق الدفاع عن دينهم والرد على أقوال المبشرين وغيرهم من الذين يطعنون على الدين الاسلامى .

ثانيا : منحهم الحق فى اصدار جرائد ومجلات باللغة التترية وكانوا من قبل لايستطيعون اصدار جريدة أومجلة إلا باللغتين الروسية والتترية .

ثالثا : منحهم الحق فى انشاء مدارس وكتاتيب بجوار المساجد تعلم العلوم باللغتين التركية والعربية وكانوا من قبل مجبورين على تدريس اللغة الروسية فى مدارسهم .

رابعا : تخويلهم الحق فى تعيين الأئمة ورجال الدين من أشخاص يعرفون اللغتين التترية والعربية ، وكانت الحكومة من قبل لا تسمح بتعيين المسلمين فى الوظائف الدينية الا اذا كانوا يجيدون اللغة الروسية . وامثال هؤلاء قليلون بين رجال الدين المسلمين ولذلك كانت الحكومة تعين رجالا جهلاء فى الدين وتهمل المستحقين لعدم معرفتهم اللغة الروسية .

خامسا : تخويلهم حق ادارة مدارسهم الدينية وأوقافها وكانت من قبل هذه المدارس تديرها وزارة المعارف الروسية .

سادسا : منع المسلمين من الاتجار ببيع المشروبات الروحية .

سابعا : منع المسلمات من انشاء مواخير للفساد وادارتها .

ثامنا : اعطاء المسلمين الحرية فى قفل مخازنهم ومحلات متاجرهم يوم الجمعة وعدم ارغامهم على قفلها يوم الاحد .

تاسعا : تعيين أئمة من الجيش للقيام بخدمة الجنود المسلمين الدينية

عاشرا : تقديم مأكولات للجنود المسلمين ليس فيها طعام محرم فى الدين الاسلامى .

حادى عشر : منح المسلمين الحرية فى انشاء الجمعيات الخيرية والنوادى الادبية العلمية لتعمل على ترقية المسلمين ماديا وأدبيا .

وبعد صدور الأمر القيصرى بالتصديق على هذا القرار انشرحت صدور المسلمين فى روسيا وتنسموا رائحة الحرية التى ساعدتهم على السير فى طريق الرقى الادبى فأنشأوا الجرائد العديدة بلغتهم التترية فأصبح عندهم نحو مائتى جريدة ومجلة سياسية وأدبية وتاريخية ودينية بعد ان كانت جرائدهم قليلة العدد جدا والغى كثيرون القسم الروسى من جرائدهم وأنشأوا أيضا كثيرا من الجمعيات الخيرية والادبية والمدارس العديدة وأصبحوا يرفلون فى رياض الحرية .

على أن كثيرين من كتابهم الفضلاء مازالو يشكون من جمود المسلمين فى روسيا وتمسكهم بعقائد وتقاليد قديمة وانه يلزمهم وقت طويل لمجاراة الامم الغربية فى مضمار الحياة واقبالهم على تعلم العلوم

العالية ، وكثيرون من أولئك الكتاب الافاضل أخذوا يؤلفون الكتب ويكتبون المقالات فى الجرائد والمجلات يحثون بها أبناء دينهم على طرح نير الجمود والاستكانة ويرشدونهم الى طريق الرقى وبوجه الاجمال فان مسلمى روسيا نهضوا فى تلك الايام نهضة شريفة تبشر بحسن الاستقبال وخير المآل أن لبثوا سائرين على محور الهمة والنشاط حقق الله آمالهم .

على أن الحكومة الروسية من قديم الزمان كانت وما زالت ولن تزال عاملة على معاملة المسلمين فى بلادهم بالحسنى ومنحتهم كثيرا من الحقوق لم تمنحها لغيرهم من الامم المستظلة بالراية الروسية ولا عجب فى ذلك فان المسلمين فى روسيا أظهروا فى حوادث كثيرة على أنهم من أشد الناس إخلاصا لحكومتهم وطالما دافعوا عنها بنفوسهم وأموالهم واشتهرت الجنود الاسلامية فى الجيش الروسى بالبسالة والاقدام عن حقوق الوطن وقد عرف فيهم ذلك قياصرة روسيا فاختاروا حرسهم الخاص منهم ومنحوهم حقوقا عديدة .

الشريعة الاسلامية

فى المحاكم الروسية (١)

لا توجد مقاطعة فى أنحاء المعمورة تقضى فيها حقوق أهاليها

---

(١) نشرت بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٢ نقلا عن جريدة نوفويه فريميا الروسية لسان حال وزارة الخارجية الروسية بقلم المعرب .

بشأن الارث حسب نصوص شريعة الديانة المتدين بها أهل تلك المقاطعة الخاضعون لمملكة متدينة بدين يخالف دينهم . ففى الجزائر والهند تستعمل محاكمها الشريعة الاسلامية فى قضايا الوطنيين الاصليين فقط . وأما فى سائر أنحاء فرنسا وانكلترا فان المسلمين يرثون حسب نظام قانون نابليون والقوانين المدنية للبلاد التى يقيمون بها غير أن روسيا شذت عن هذه الطريقة ففيها وحدها يرث المسلمون حسب نصوص الشريعة الاسلامية وقضاة محاكمها مأمورون بالسير على تلك الشريعة المرعية الاجراء فى محاكمنا من عهد بعيد ومصرحة فى البند ١٣٣٨ وما بعده من بنود المجلد العاشر من القانون المدنى ومشروحة شرحا واضحا لا يدع أثرا للريب فى النفوس .

ومع ذلك فانى أقول لقد حان لحكومتنا أن توجه التفاتها الى الصعوبات التى تنجم عن استعمال تلك الشريعة التى لا يبررها بند القانون القائل باستعمالها بالنظر لعدم مطابقتها للعقل .

لقد ظهر من آخر احصاء ان نسبة عدد المسلمين ١١ فى المائة من جميع الاهالى الروس (١) منهم من مسلمى أوروبا بروسية أوروبا والباقون فى أملاك روسيا فى آسيا ثم انه فى بعض ولايات روسيا يكثر عدد المسلمين حتى انه يبلغ عدد نصف الأهالى كولاية أوفا وفى بعضها يقل عددهم كثيرا

ففى قضايا ميراث ومخاصمات المسلمين تسير المحاكم الروسية حسب نصوص الشريعة المحمدية وذلك مما يدعونا الى انعام النظر فى هذا الأمر ان المسلمين القاطنين فى روسية أوروبا يخضعون دينا لرئيسين

---

١) هذا على حسب احصاء أجرى عام ١٩٠٠ ولكن هذا العدد تزايد جدا الآن

روحيين عظيمين أحدهما يقيم فى ولاية القرم والثانى فى ولاية أورنبرج وأما مسلمو القفقاس فينقسمون الى قسمين سنيين وشيعيين يقيم رئيساهما فى مدينة تفليس عاصمة تلك البلاد ورؤساء الدين هؤلاء يقضون فى مصالح المسلمين من زواجهم وأحكام دينهم وارثهم وانما فى قضايا الارث يكونون كوسطاء للتراضى والصلح بين الورثة واذا لم يستطيعوا ذلك فالورثة يترافعون أما المحاكم الروسية التى تحكم لهم حسب نصوص الشريعة الاسلامية كما قدمنا ، واذا أجلنا الطرف فى هذا النظام المطابق لنصوص المجلد العاشر بخصوص ارث المسلمين فلا يبقى فى نفوسنا ريب ان هؤلاء يترافعون فى مسائلهم الدينية لدى أئمتهم الذين يؤلفون محكمة لا يقبل حكمها النقض والابرام وأما فى القضايا العامة وعلى الأخص قضايا الارث فانهم يترافعون امام المحاكم الروسية التى تقضى لهم أيضا حسب نصوص شريعتهم المرعية الاجراء والموضوعة بين بنود قوانيننا الخاصة بالمسلمين وعليها ذيول شتى بخصوص ارث المسلمات لازواجهن وهنا نورد نص الفقرة من قانوننا الذى يصرح بذلك فى قوله «فى قضايا ارث المسلمين وكذلك فى جميع قضاياهم العامة ينبغى على القضاة الروس أن يسيروا طبقا لنصوص الشريعة الاسلامية» ولا أدرى لماذا تفضل حكومتنا المسلمين على اليهود من رعاياها مع ان تلمودهم يتضمن شرائع مختلفة ونواميس متعددة لجميع ظروف وأحوال اليهود المدنية والدينية واذا فرضنا بان ذلك التفضيل ناجم عن حصول المسلمين عندنا على حقوق وامتيازات أكثر من اليهود وان شرائع التلمود غير وافية أو تامة كالشريعة المحمدية فانه كان يمكننا الوقوف عند هذا الحد فى الكلام ونرضى بسير الاحكام التى ذكرناها على محورها ومجراها غير أن محاكمنا لحد الآن لم تتمكن من السير على قاعدة معلومة محدودة لكى تقوم بما عهد اليها من الواجب

الملقى على عاتقها ذلك لان قوانين الشريعة الاسلامية غير مرتبة الوضع ومن جهة أخرى فانه لا توجد في بنود نظاماتنا صراحة ترشد القضاة الى طريقة معلومة ليسيروا بموجبها وتلك النظامات الاسلامية المعروفة بالشريعة تؤلف مجموعة أجوبة مختلفة لأسئلة متعددة بخصوص الحقوق والاحكام قد وضعها ألوف من المتشرعين المسلمين وكلهم من رجال الدين الذين وضعوها باللغة العربية طبقا لاحكام القرآن ونصوصه ؛ وقد اجتمع من هذه القواعد والأجوبة منذ ظهور الاسلام حتى يومنا هذا عدد لا يحصيه حاسب وقد اجتهد علماء العرب فى جمع شتات قواعد تلك الشرائع فى مجموعات خاصة بقصد نشرها وتسهيل وجودها والرجوع اليها عند مسيس الحاجة وترجم أكثر هذه الكتب الى اللغتين الافرنسية والانجليزية وانما لم يترجم منها الى اللغة الروسية سوى الكتب الآتية : (أولا) مجموعة عقائد الشيعيين وشرائعهم ترجمة الاستاذ ميرزا قاسم بك فى عامى ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ — (ثانيا) كتاب شريعة السنيين ترجمة غورديكوفى عام ١٨٩٣ تحت اسم الهداية — (ثالثا) نظام ارث المسلمين ترجمة العالم موخين عام ١٨٩٨ . وهذه الكتب الثلاثة نافعة جدا لدرس الشريعة الاسلامية

ثم انه كما أشرنا آنفا بان بنود المجلد العاشر من النظام المدنى الروسى لا تصرح للمحاكم الروسية صراحة تامة بالاستناد على نظام اسلامى معروف أو مترجم للغة الروسية ولذلك كان القضاة فى أكثر القضايا يقعون فى أشد الارتباك ولا يجدون لهم مخرجا من تلك الحالة الحرجة سوى الكتابة الى ائمة المسلمين يسألونهم حل مشكل تلك القضية فيجاوبونهم عليها كتابة بذكر فقرة الشريعة الموافقة لحل تلك القضية حلا صحيحا عادلا حتى يبنوا حكمهم عليها ولكن شوهد كثيرا بان تلك الفقرات المرسلة من

رجال مختلفين لحل قضية واحدة تناقض الواحدة الاخرى وعدا ذلك فان نظام الارث واسع جدا وهو أعقد فصول الشريعة ولذا جعل علما مستقلا لا يدركه الا بعض أئمة المسلمين الذين يسمون القسام والقضاة الروسيون يصعب عليهم درس الشريعة الاسلامية لجهلهم اللغة العربية الموضوعة بها . ثم انه لا يتسنى لاحدى المحاكم أن تصدر حكما بارث ولم يرضخ له المترافعون الورثة ورفعوه الى محكمة أعلى فربما نقضت هذه المحكمة بعض الحكم الابتدائي استنادا على فتاوى أئمة المسلمين الموجودين بالقرب منها وبذلك تخالف الحكم الاول الذى أصدرته المحكمة الابتدائية طبقا لفتاوى أئمة المسلمين الذين أفتوا لها بتلك الفتوى وكانت فتواهم مخالفة لفتوى الآخرين وكثيرا ما تتصل تلك القضايا الى مجلس الشيوخ الذى لا يجد أيضا الى حلها سبيلا سوى الاستناد على فتاوى الائمة وبالاختصار فان قضايا ارث المسلمين وغيرها بسبب عدم معرفة قضاتنا الشريعة الاسلامية وأنى لهم ذلك ؟

ثم استطرد الكاتب كلامه فقال : ولقد طالعت مقالة فى مجلة وزارة الاديان بهذا الشأن ذيلها كاتبها بعدة آراء اذا سارت عليها حكومتنا تخلصت من تلك الحالة الحرجة ولاتمام الفائدة أذكر تلك الآراء

(اولا) ينبغي أن يضاف الى نموذج مدارس القضاة الحقوقية درس الشريعة الاسلامية حسب الطريقتين السنية والشيعية وعلم الارث

(ثانيا) ينبغي على رزارة الاديان أن تنتخب عدة علماء أفاضل لهم معرفة تامة وخبرة زائدة بالشريعة الاسلامية وتعهد اليهم ترجمة تلك الشريعة الى اللغة الروسية ليسير بموجبها القضاة

ثالثا ينبغي أن تضاف الى بنود النظام المدنى بنود جديدة يبين فيها كيفية استعمال الشريعة الاسلامية والطريقة التي ينبغي على القضاة أن

يسيروا عليها فى تطبيق فتاوى الأئمة على نصوص الشريعة وايجاد الفقرات الموافقة من الشريعة للفصل فى منازعات المتخاصمين بكيفية عادلة غير مجحفة بحقوق أحد

(رابعا) ينبغى على محاكمنا أن تسير أيضا على نظام محاكم تركستان الاهلية

(خامسا) ينبغى على حكومتنا بأن تنتخب من المسلمين أئمة ذوى أهلية وكفاءة تعينهم معاونين للقضاة الروس فى حل مسائل الارث والحكم فى بعض القضايا وتسن لهم نظاما يسيرون عليه وترتب لهم رواتب شهرية

ثم ختم الكاتب مقالته بقوله ولنا وطيد الأمل بان حكومتنا تعير التفاتها الى هذه المسألة الخطيرة التى لا يحسن السكوت عليها

وفعلا لبت الحكومة الروسية نداء هذا الكاتب الحر المعتدل ونداء غيره من الكتاب الروسيين المنصفين وعهدت الى لجنة من الكتاب المسلمين الروسيين والمستشرقين تعريب الشريعة الاسلامية ليسير بموجب نصوصها القضاة الروسيون فى القضايا الخاصة بالمسلمين

القرآن الكريم

وعناية مسلمى الروس باستظهاره

ومما يحسن نشره ويطيب ذكره أن للمسلمين الروسيين عناية خاصة لا توجد لدى غيرهم وهى حفظ القرآن الكريم ولا سيما تحفيظه للفتيات واتماما للفائدة أنشر مقالة بهذا الصدد كنت نشرتها فى العدد ٣٧٢٥ من جريدة المؤيد الغراء الصادرة فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٢ عربتها عن جريدة ترجمان الروسية الاسلامية وهاهى :

جرى فى التاسع من شهر يوليو الماضى امتحان مدرسة البنات التى تحت ادارة حضرة الفاضلة بمبه خانم بولاتوقوف وقد حضر الامتحان

ماينيف عن مائة سيدة من والدات الطالبات وقريباتهن فكان عدد المنتهيات اللواتى نلن الشهادة الابتدائية باللغة العربية والروسية والدين والحساب وغير ذلك من العلوم عشر فتيات وقد أجادت تلميذات المدرسة الاجوبة وشنفن أسماع الحاضرات بتلاوة بعض سور القرآن الشريف

وفى الحادى عشر من الشهر المذكور جرى فى مسجد المدينة امتحان احدى طالبات هذه المدرسة البالغة من العمر تسع سنوات فى حفظ القرآن واستظهاره أمام جمهور غفير من الوجهاء والاعيان وقد فازت تلك الفتاة فى الامتحان فوزاً مبينا ، وتلت القرآن جميعه فى ساعات متوالية فلقبت بالحافظة ، وحسب العادة الجارية عندهم ألبسها الامام عمامة خضراء صغيرة وعلى أثر الامتحان أولم والد الفتاة السيد حسن النحاس وليمة فاخرة لجميع الحاضرين

ثم قالت الجريدة عن حفظ القرآن مامؤداه : ان استظهار القرآن وحفظه عادة قديمة عند المسلمين ولاتخلو الآن عندنا مدينة أو قرية من حافظين وحافظات للقرآن الكريم ، وهذه العادة كانت لها أهمية عظمى فى صدر الاسلام لحفظ القرآن سالما من التغيير والتحريف لعدم انتشار المطابع فى ذلك الوقت ونسخه الخطية كانت قليلة جداً ، ولذا كان يحفظه الحافظون جيلا عن جيل فلما شاعت المطابع طبع منه ملايين من النسخ

ومن ذلك أيضا ان حضرة الفاضلة السيدة صفية عليه خانم عقيلة سليم افندى جانتورين تحصلت من وزارة المعارف على رخصة لانشاء مكتب ، وبعد ان فازت بضالتها المنشودة شادت من جيبها الخاص داراً فسيحة للمدرسة لتعليم الاولاد فيها اللغتين العربية والروسية وصناعة الإحذية والحدادة وقد إستحقت هذه الفاضلة الشكر

وقد أخذت بعد ذلك النهضة بين مسلمي روسيا تسير سيرا مطرداً وظهر بينهم من نوابغ الكتاب والمؤلفين الذين تلقوا العلوم في مدارس روسيا وأوربا العالية وأخذوا قسطا وافرا من مدنية الغرب مثل صدر الدين افندي مقصودوف أحد النواب المسلمين في مجلس الدوما الذي خطب من عهد قريب خطبة في مجلس الدوما كان لها دوي هائل في جميع أنحاء روسيا أنحى فيها باللائمة على بعض الموظفين الروسيين الذين يضطهدون في بعض الجهات المسلمين ويصادرون مدارسهم ، ولكني لدى امعان النظر في خطبته الفيته يبالغ في سرد الحوادث وكأني به كان يبالغ تلك المبالغة ليجعل لخطبته تأثيراً في النفوس ويحرك الحكومة على الاقتصاص من الموظفين الذين يخالفون القوانين ويعتدون على الرعية بدون حق والذي أعلمه بنفسي وسمعته من أفواه الكثيرين من كبار مسلمي روسيا وسراة القوم ان المسلمين في روسيا يرفلون بحلل الصفاء ويرتعون في رياض الهناء

الاسلام وأوربا

ومن نوابغ الكتاب المسلمين في روسيا الكاتب الشهير احمد بك اجايف المقيم الآن في الاستانة العلية يحرر بجرائدها وقد رأيت لحضرته في بعض مؤلفاته مقدمة دافع بها عن الدين الاسلامي وذكر الاسباب التي حملت الأوروبيين على الطعن على ذلك الدين لسبب جهلهم ومعتقداتهم وقد رأيت أن أنقلها عنه بالحرف الواحد

قال الكاتب يذكر الترهات والاختلافات التي كان ينسبها الاوربيون للدين الاسلامي كما يأتي : ان سواد الاوربيين الاعظم الذي يسلم بداهة

بالامور دون بحث بأسبابها ونتائجها وذلك بالنظر لاستيلاء العقائد الفاسدة على عقولهم ورسوخها فى أذهانهم سواء كان فى أوربا أو روسيا فانهم يعتقدون اعتقاداً متينا بأن الذنب على الاسلام فى جميع مايجرى فى البلاد الاسلامية ولولا وجوده لكانت الحال هناك على غير ماهى عليه الان والمعتقدون بهذا الاعتقاد يرون أن المسلمين ماداموا مسلمين لايستطيعون الاقبال على المدنية الادبية العمومية ثم انهم أى الغربيين يزعمون أن الشر جميعه متمثل فى الاسلام ويتصورون أن اعظم وسيلة تنقذهم منه هى ملاشاة نفس الدين ومحقه من وجه الارض وهذه الافكار رسخت فى العقول منذ اجيال عديدة سالفة من جراء الخصام والشقاق والنزاع العنيف بين الغرب والشرق وذلك فى خلال قرون مديدة بسبب اختلاف الاسلام والمسيحية الامر الذى يظهر للرجل الساذج الذى لم يعتد التبصر والتفكر والتروى بأن هاتين الديانتين على طرفى نقيض فى الجوهر والمعتقدات ولايمكن التوفيق بينهما وأخيراً ان هذا الاعتقاد ساد مدة طويلة بين أهل الغرب يدلنا على ذلك دلالة واضحة الاداب البيزنطية واللاتينية المضادة للاسلام، ومن اراد زيادة ايضاح عليه ان يقف على مؤلفات ومخلفات العصور الوسطى لاسيما الفترة التى حدثت فيها الحروب الصليبية

والانسان يتأثر تأثيراً شديداً تهتز له أعصابه لدى مطالعته تلك الترهات والمثالب والمطاعن التى كان يتناشدها مغنو وشعراء الرومان الساذجون وينادى بها النساك ورجال الدين فى المعابد والمجتمعات العامة والبرارى يصفون فيها شخص وتعاليم سائق الجمال الذى اطلقوا عليه اسم

«النبي العربي الكاذب (١) ومن الأمور المضحكة المبكية نظر أهل الاجيال الوسطى الى الاسلام واعتقاداتهم به فكان الشعب يصدق بداهة كل افتراء على الاسلام وأتباعه وقد بالغوا فى استنباط المفتريات والسفاسف لدرجة لا يجوز تصديقها لما فيها من الغرابة المنكرة وقد أدى بهم الجهل الى تصوير محمد بهيئة شيطان ذى قرنين وأطلقوا عليه اسم (ضد المسيح) الراسخ فى أذهان القوم بانه يفسد الناس ويخرجهم عن دينهم ولذلك لا بد أن يزج فى سعير النار حيث لا يقر له فيها قرار، ثم ان تيورين الكاذب المفترى ألف رواية وصور فيها محمدا بهيئة الصنم ماهوم الذى كانوا يعبدونه فى قادس ولم يجسر كارلوس الاعظم على تحطيمه وتكسيره خوفا من الابالسة المختفية فى جوفه

ومما مر يتضح للقارىء أن العقول النيرة كانت منغمسة بمثل هذه الاعتقادات الفاسدة والمفتريات الباطلة البعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الماء وقد أجمعوا عليها كلهم حتى أنه لو قام بينهم فى مثل ذلك الوقت رجل كشف الله له عن نور الحقيقة وجاهر بها لكنت ترى الناس يصبون عليه صواعق سخطهم ونقمتهم فقد كادوا يحرقون دانتى فى النار لانه عد محمداً فى (روايته الالهية) بين الرجال العقلاء المصلحين ذوى المدارك السامية ، فاضطر لكى ينجو من سخط الشعب الذى تهدده بالقتل ان يضعه فى عداد الرجال الاشرار الذين عاثوا فى البلاد فساداً وبثوا بذور الشقاق والنفاق والخصام بين معاصريهم مثل (فرادالتشينو) و(برتران دى بورن) وغيرهما اللذين هم فى عرف الشعب من سكان جهنم ، ثم ان المصور الايطالى الشهير اركانيوس وضع عدة رسوم

---

(١) أنظر تاريخ الآداب الفرنسية والآداب البيزنطية ضد الاسلام تأليف جمعية المبشرين في قازان

للاشخاص الذين يحتقرون جميع الديانات على الاطلاق واتخذوها لمجرد الهزء والسخرية فصورهم واقفين فى جهنم ولهيب النار يكتنفهم من جميع الجهات وفى مقدمتهم محمد وافير روئيس (الوليد بن رشد) والمسيح الدجال أو ضد المسيح

وبوجه الاجمال فان الاجيال الوسطى كما قال أرنست رنان قد اشتهر أهلها بالحدة وعدم التروى ولم يكن عندهم درجة متوسطة لأمر من الامور فكان محمد فى عرفهم خداعا ماكرا متخذاً مهنة سرقة الجمال وقالوا عنه بانه كاردينال سعى للحصول على وظيفة البابوية فلم يفز بها فوضع ديانة جديدة لكى ينتقم من زملائه الكرادلة وما ضارع ذلك من الاوصاف المجردة عن الانصاف ولا تنطبق على العقل السليم(١)

تمر الأجيال وتنقضى السنون ولا تزال سفاسف الناس وترهاتهم وأفكارهم السخيفة الواهية تضغط على العقول النيرة كما كانت فى العصور المظلمة ، ان بيبلياندر وهوتينبجر وماراجى وغيرهم أخذوا يدرسون القرآن درسا مدققا على قصد تقويض أركانه ، وأما لبنتس وشكسبير فانهما تكلما كثيراً على نبى المسلمين بقصد اضحاك الجمهور وتسليتهم ، وأما فولتير فانه التمس للغفران من البابا بواسطة تقديمه له رسالة الطعن المشهورة التى عنوانها (محمد) وقد نسب بها الى النبى محمد أمورا منكرة لم تخطر ببال ومنافية على خط مستقيم لروح تعاليمه ومبادئه

ثم ان الجيل التاسع عشر المسمى بحق جيل العلم والانتقاد الصحيح لم يخل من مثل هذه المختلقات والمفاسد التى جاهر بها بعض قادة الافكار وأصحاب العقول الممتازة فقد وضع العالم الانكليزى الشهير كارلوس

---

(١) انظر تاريخ الاديان لارنست رنان وكذلك رواية محمد لمؤلفها : ف : ميشيلى

فورستير عام ١٨٢٩ مجلدين ضخمين وقعا موقع الاستحسان والاحترام في نفوس رجال الدين لأنه برهن فيهما بالأدلة الكثيرة على ان محمداً هو قرن الكبش الصغير الوارد ذكره في الاصحاح الثامن من نبوة دانيال وان قرن الكبش الكبير هو البابا (١)

ولكن النصف الثاني من الجيل التاسع عشر الذي أشرقت فيه أشعة العلم وأماطت النقاب عن الشرق وتاريخه وحياته وذلك انه عندما ازدادت المواصلات بين الشرق والغرب بواسطة انتشار السكك الحديدية وازداد توافد الغربيين الى الشرق حيث دعتهم المصالح التجارية والصناعية والسياسية الى الضرب في طول البلاد وعرضها ففاد العلم وحب الاستقراء علماءهم وأصحاب الافكار الفياضة منهم الى درس اخلاق وعادات اهل الشرق المتدينين بغير دينهم ودرس احوال البلاد في نفس البلاد ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه الى مطابقة الحاضر بالغابر مطابقة مبنية على العلم والتحقيق والكتابات الماضية وأبدوا في خلال ذلك ملاحظاتهم على الأدوار العديدة التي تقلبت فيها الاديان منذ ظهورها وما تحملته من الانقلاب والتغيير ولم يميلوا في عملهم هذا ودرسهم مع الاهواء بل دونوا الحقيقة مجردة عن كل غرض فاسد، وميل منحرف وهذا يناقض حالة العلماء في الاجيال الماضية الذين غشى التعصب الديني ابصارهم واسدل حجابا كثيفا على افكارهم فأعماهم عن المجاهرة بالحقيقة وقادهم الى الابتعاد عن جادة الحق والانصاف، وقد تبعهم في ذلك سواد الناس الأعظم الذين لزعمهم بأنهم حاملو لواء الحق فانهم لا يستطيعون احتمال معتقدات غيرهم من الناس والوقوف حيالها موقف السكينة والرضى

(١) كشف النقاب عن الدين الاسلامي هو بحث في انتشار الدين وبقائه على طريقة تؤدي الى زيادة الاعتقاد في الدين المسيحي

بل يسفهونها ويذهبون فى انتقادها كل مذهب .

أما فى ايامنا الحاضرة التى اصبحت فيها الاديان مادة للمباحث العقلية فقط لأنها فقدت مادة التعلق بها ذلك التعلق الدينى الشديد ولا يهتم بها الناس الآن الا لأنها من مظاهرات نفس الانسان ولم يعد الناس يتحاورون بشأنها ولا يوجه كل صاحب دين الى الاديان الاخرى انواع السباب والمطاعن والتهكم واصبح عمل المستشرق الذى يهتم بأمور الأديان والوقوف على تاريخ الشرق يخرج من تحت يراعه كتحليل الكيماوى الذى يخرج من معمله وتراه أى المستشرق يهتم بجميع العوارض والمظاهر اهتماما واحدا دون أن يفضل أمراً منها على الآخر وانما ينشرح صدره وتطيب نفسه لدى اطلاعه ووقوفه على مبتكرات فكر الانسان فى كل آن وزمان واظهار قواه الفياضة ، ولذلك فلا عجب اذا شاهدنا فى هذا العصر الانقلاب العظيم الشأن الذى احدثه درس احوال الشرق فانه غيّر نظر العلماء السابق بشأن الاديان المختلفة وشؤون الشرق على العموم ولا سيما بشأن النبي محمد وتعاليمه فاصبح محمد فى عرفهم ونظرهم ليس صورة للصنم ماهوم ولاهو ضد المسيح المقيد فى جهنم ولا قرن الكبش الصغير الوارد ذكره فى نبوة دانيال بل هو ذلك المصلح العظيم الذى هز العالم بتعاليمه ومبادئه وافكاره السامية وانه وضع اساس تعليمه ليس لأنه كان كاردينالا ولم يفز بوظيفة البابوية بل لأن فؤاده كان يلتهب غيرة على الحق الذى شوهت وجهه الشكوك والاختلافات التى دخلت عليه ذلك الحق الذى نادى به فى العالم ذلك « النبي العظيم » قبل ظهوره بستة قرون ولم يدرك جوهره تلاميذه النشيطون الغيورون بل ذهبوا فى تأويله كل مذهب عند ماعلموا الناس به ولاسيما فى البلاد العربية وقد

ورد فى القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك بأجلى بيان وتأملوا فقط ذلك الشكران الجميل الذى جاهر به نبى المسلمين بشأن الصابئين الذين ظنوا لأول وهلة أنه ينادى بتعليم المسيح

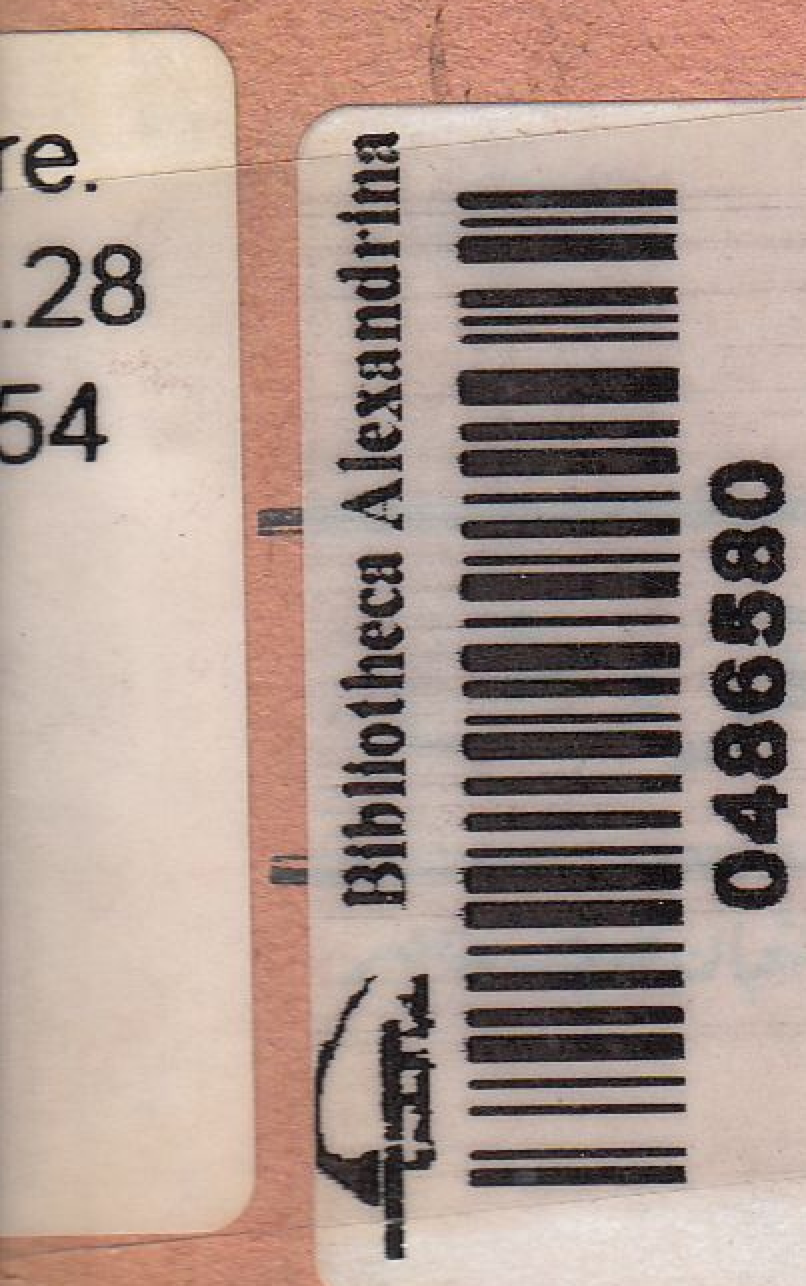
ثم أن آيات القرآن النازلة بشأن آلام عيسى وولادته وذكر مريم والدة روح الله فانك ترى التأثر ظاهراً من كل كلمة منها مقرونا ذلك بمزيد التعظيم والاحترام وفوق هذا وذاك فان المسلمين يعظمون مريم اكثر من بعض الطوائف النصرانية فهى فى عرف المسلمين عذراء طاهرة صالحة قد اصطفاها وشرفها رب العالمين والنبى يظهر لها احتراماً دينيا يفوق الوصف حتى انه عندما أراد أن يمتدح ابنته فاطمة قال « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران » ثم ان النبى أدرك تعليم عيسى كما هو وجاءت الديانة المحمدية مطابقة لها ونفت جميع المعتقدات الباطلة التى دخلت عليها وشوهت جوهرها وورد فى أمكنة كثيرة من القرآن ما مؤداه وانى جئت لاثبات تعليم عيسى الحقيقى (١)

قال المستشرق الانجليزى الشهير «ماكس موللر» سوف يعلم المسيحيون بدهش عظيم أن محمدا أحد معضدى يسوع وان الديانة المحمدية ما هى الا شيعة من شيع الديانة النصرانية واذ ذاك يندهش المسلمون والمسيحيون معا بسبب ما جاء فى تاريخهما من الخصام والشقاق والعداء بسبب الدين(٢) وقد وافق كثير من علماء أوروبا المستشرقين على رأى هذا العالم وعضدهم فى ذلك أيضا كثير من الروسيين العقلاء ذوى الأفكار الساميه مثل فلاديمير سولوفييف وبيترون

---

(١) راجع ترجمة القرآن لسابلوجوف

(٢) راجع كتاب محمد والمحمدية لماكس موللر





الثمن ٣

مطبعة الشمس الحديثة عطفة